

يستعين بغير العنصرين الهزليين اللذين اضمحلا ، وتوفى المأمون (٢٠٨ هـ) (١) وتولى الأمر بعده المعتصم وهو الذى استعان بالأتراك فى عهده ، وإلى أن أتى عهد ابنه الواثق كان الأتراك هم السلطة الفعلية فى الدولة ، ولقد توفى الواثق (٢٣٢ هـ) (٢) تاركا الدولة — أثرا بعد عين — للمتوكل ، وقبل هذه السنة بعام توفى ناقدنا العظيم أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحى وكان جمحيا بالولاء .

ب — الحياة الاجتماعية :

عاش ابن سلام فى هذا العصر مع هؤلاء الخلفاء رجلا من عامة الشعب ، يَشْعَلُهُ التراث العربى ، وهم فى قصورهم يشكلون له مجتمعه واقتصادياته ، فقد ولد فى خلافة المنصور ، عاش خلافة المهدي والهادى والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق ، والمجتمع الذى عاش فيه ابن سلام كان مجتمعا قد احتدمت فيه الاحتكاكات بين القديم والجديد بين التقاليد والتطور ، بين الجذور العربية الأصيلة والأصول الأجنبية الوافدة ، فاحتك الإسلام بالديانات والملل والنحل الأخرى ، واحتكت اللغة العربية باللغات الأخرى ، واصطدمت الآمال العربية بآمال الأمم المغلوبة على أمرها ، وأما النظم الاجتماعية العربية فحاربتها النظم الاجتماعية الفارسية والرومية وغيرها . وغلبت الدنيا الدين ، وهزم التطور التقاليد ، فانطلقت النفوس من عقابها وحمل العباسيون والشعوب معهم — لواء الحضارة الفارسية ، فهموها وهضموها فتمثلوها ، وعاشوها ، فى أبسط صورها وفى أعقدها .

وأصبحت قصور الخلفاء صورة لهذه الحضارة ومايجرى فى القصور من مراسم وتقاليد وأوضاع نجدها فى صور مختلفة فى بيوت الأمراء والوزراء والعظماء والقواد ، كما نجده فى بيوت العامة ، بسكل من الأشكال .

فى هذا المجتمع الذى عاش فيه ابن سلام ، قَلَّتْ الحروب ، وتوافر المال ، فوجد الناس فضلا من الوقت فاندفعوا إلى ملذات الحياة المختلفة ، ومن ملاذها

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٩/٥ .

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٣٤٤ .